ذاكـــــــرة مـكـــــان

شـــارع ضيـــدان .. أول المســـارات الـــدارسـة

محمـد عـطـوان

لكثرة ما يفِد من الناس إليه، يحبذ الأهالي أن يَسموه شريان خمسميل الأبهر، كما يحبذون تسميته اليوم رِغم تعاقب التسميات لشارع ضيدان، سمي الشارع على أسم رجل سكن المكان أول الفأل، ورسم خريطة مجازية له ما كانت مرسومة من قبل، سوى بضع مسارات دارسة من وقع الخطى.

الممرات حياة الناس

يوزع الشارع ممراته على مشاغل المارة، دامغاً تأشيرات دخولهم وخروجهم منه، ويهديهم إلى أرزاق كانوا يعتقدون بهبوطها مِن الرب فيلقونها مرمية أمامهم، كسُرات العرائس، عند السحر، تتهادى سهما أو غموسا لليوم، عند جالبي بالات التتن المشحونة من الشمال يروجونها، وعند مساطر العمالة قليلي الحيلة المُبكرين، المساطر المحايدة لجهة المقهى العتيق للحاج سالم عبد الرضا، الذي كان يعج مذياعه بأغنيات حضيري أبو عزيز وزهور حسين وعزيز علي. كان الممر المؤدي إلى المقهى يهيئ على الدوام فسحة رحبة للحب والغزل الرخيص والمتاح كالرزق؛

تهدي الممرات الناسَ صباحاً إلى معامل الحليب التي يملكها الحاج سرحان سابط، كانت مكائن خض الحليب تبتلع بنعمائها غوث الفتيان والفتيات فاغري الأفواه، وكان أبناء الحاج المالك غارقين بمتع الحياة الأولى، تسميهم الفتيات . متوددات . ولدان خير ودعة.

عند كل صباح كان يمتطي الشبانُ الحمالون حصونهم الحديدية الصفراء . وزعها الزعيم الجمهوري لهم للقدوم باكرين . متقاطرين من ممرات شارع ضيدان المتعددة، متوجهين نحو أرصفة مراسي المعقل زرافات، يعملون حمالي حنطة وشعير ورز. كانت أكياس الحنطة والشعير تُرسف على النوالة المربوطة فوق ظهورهم المتخشبة، ويمضون في علاقة امتطاء لا انفكاك من أسارها. يدفعهم إلى ذلك قناعة العمل بالقطعة. يَنفذ شبان آخرون وكبار سن أيضا من ممرات الأحزان الأخرى المتفرعة عن ذلك الشارع إلى باعة العلف والفافون والحبال السوتلي والقطن والقنب والنايلون للانخراط في أعمال الخدمة الرائجة في سوق الحاج سالم عبد الرضا القريب من سكة الحديد، منبت الأرومة الكبير لعشيرة البوسليمي. يترجل الفتيان الأشداء إلى محال القصابين هناك. كان ينظر العوام إلى القصابين بعين المهابة لكثرة ما يكسبون، محال القصابين مرتع الأولاد عاقري الجواميس، يتباهون بأجسادهم المفتولة أمام تلصص أعين الفتيات المراهقات. خضير السماك النشيط وعلوة السمك المحاذية لكتف السوق الأيمن وأخوته يلفون الدراهم الخردة بالكواغد حتى الليل، يشيدون صورة من حياة يشوبها القلق المقيت والرغبة في المضي نحو حال أفضل.

ما كان يدّخر من الأسرار

لم يكن ضيدان المرجان غير رجل جاء ليعيش على طريقته، فسكن الشارع أيام كان المكان برمته سبخة جرداء فاقعة الصفار عند الهجير، كالحميم، لا يطاق. لم يُعمر طويلا، كان قبل ذلك كله بحارا يلاوي الأمواج بساعديه، ويغمره انتشاء لا يوصف حين كان يرتدي بزة البحرية البيضاء، في ريعان العمر، صاحباً معه رفيقه الحميم خريبط العفراوي الساكن جواره، كان بحارا هو الآخر، ليفتحا عالما غريبا من أسفارهما المتكررة. لم يكن في مخيلة أبناء عمومتهما من المعدان قاطني اليابسة الجدد شيئا مما كانا يحكيان عنه، فيرويان قصصهما بتلذذ. لقد فارق ضيدان المرجان الشارع والحياة، ولم يدركه أحد ممن سكن بعده. يعتقد الناس أن (فرحان) شقيقه الذي جاء معه كان أكثر حضورا منه. الملفت أن عادات فرحان وطباعه كانت في غاية التمدن والمسالمة وهو المتحدر من الهور. كانت خدود وجهه الرمانية لا توحي . من الأصل . بمجيئه من تلك الأجواء المشمسة المدافة بالماء والطين. لكن حضوره هذا كان لطول عيشه جسديا بينهم. وللحقيقة لم يكن ليستطع أن يدرك رمزية قصر أجله أخيه، فالاسم كان يديم حضور روح ضيدان الحائمة حول مكانها الأول ويرطب مع مرور الوقت ذاكرة الناس، فبقوا يسمونه شارع ضيدان.

أصل المسألة وسرها، أن ثَقَبَ ضيدانُ الأرض بمسماره قبل أن يتعرف الناس على شكله، لقد سفحت البكورة حياته قبل تأثيث المكان واكتمال ملامحه، فورث أخوه بوابة الشارع الأولى. كان ضيدان فطنا إلى الحد الذي جعله يفتح بابا للعيش في سبخة لم يسكنها أحد من الناس بعد، لم يعطِ سكناه في حينه شيئا مقنعا للسائلين سوى أنه كان يحادي الشارع القديم المؤدي إلى العاصمة وحسب. إلا أن نزوله المكان هذا، شيء عمدي أنشأ ارادة ما، وثمة جهد راح يُبذل دائما لتبريره برمزية ما، تحولت مع مرور الوقت إلى ارادة سلطة على ذاكرة الناس. لم يكن يعيش مع ضيدان ساعتها غير عويل الذئاب وبنات آوى السابتة نهارا في سراديب كانت مقابر أطفال متناثرة جعلت منها بيوتا لها على الجهة الشمالية من سكة الحديد، وقيل إنها المقابر ذاتها كانت مأواها، وكنا نلمح حركات بناة آوى حتى زمن الحرب مع الإيرانيين، تلعب خلف أهوار من القصب أنبتها فيضان البلد العام.

سكن المعدانُ النازحون من الأهوار شارعَ ضيدان، وامتدت معالفهم إلى مساحات شاسعة، لم يعد لها وجود اليوم، مع تعشير لمئات من الجواميس وتكديس تلال غير منتهية من الحشيش الجاف مرصوفة عند فناءات بيوتهم الخلفية، كان بيت ضيدان مع بيوت قليلة أخرى، بخلاف بيوت الناس المنسوجة من القصب، كان بيته مبنيا بالآجر، ولعل الآجر أكسبه ذلك الحس المدني في سلوكه، مغايرا لما درج جيرانه عليه.

بيوت موسمية

عند الهجير كانت تلتهم ألسنة اللهب على الدوام تلك البيوت المرزومة من القصب فتحيلها في سويعات إلى رماد، بعض قطع كبريت صفراء كان يرميها مجهولون فتشب البيوت، البيت تلو الآخر فتتوالى مثل قطع الدومينو المتساقطة. ويعاود الأهالي بعدها . مكبودين . نسجها من جديد، مصحوبا ذلك بنصيب من البكاء والعويل على عجول لم يدر حولها، عزيزة كالأبناء نفقت من إثر الحرق، وحسرة النسوة على ذوبان الأواني التي غالبا ما كَن يستعملنها لترويب الحليب وتشييط القيمر، ومن دون أن تسلم من ذلك نضائد العرائس حديثات الزواج، تعطبَ قطنها ممزوجا بروائح البخور الكشميري، ليتحول المكان برمته ساحة حرب فرغ المتحاربون منها للتو.

لقد شاكست السياسة والحرب عالمهم المحترق هذا، ومارست تبدلا في هندسة الحيز الرخو، فتسللت إليه مرة من دخالة محارب ضابط وسيم قيل إنه من العاصمة، لم يع الناس السياسة في حينها. كان المعدان يخشون ما يبيته مخلب الغول لهم، أو أنهم كانوا يهابون السلطة من الأصل. لم يتعاملوا معها من قبل ذلك. كانوا مسكونين بالروح الجماعية والألفة المكانية والقرابية الموحدة، أكثر من كونهم أفرادا متوحدين، عيشهم غير محدد بتخم، لكنه عيش منغلق نسبويا بأية حال، فالمكانيات . بنظرهم . نفسها وسط خفي ومقنع لعلاقات غير متكافئة من السلطة، والسلطة تبقى محتاجة إلى إقامة الحدود والتخوم حتى يمكنها أن تردع. باتوا يخافون منها إلى الحد الذي يتكفل سالم عبد الرضا وحده بتدوين أسمائهم في السجلات المدنية، ومنحهم الهويات، أخوهم أشطر النازحين وأول مختاري المكان. لم يجرؤ أي منهم أن يخطو إلى مركز للشرطة أو دائرة مدنية لحسم مسألة ما بسيطة، إلا وأوكل أمرها لسالم.

يروى أن الضابط الشريد كان ذا إهاب ومطاردا من السلطة الحاكمة حينها بتهمة انتمائه إلى أحد التنظيمات الشيوعية التي كانت منتشرة كحشائش الثيل بين أبناء القرى والمدن على السواء، كان من النادر أن يحدث ذلك مع السلطة، ومن الخطر أيضا ان تسمع عن ضابط وشيوعي في نفس الوقت، لقد نشر الضابط عدواه بين الناس كالإثلين. كانت العدوى خبرا ليس إلا .. فانزوى بين الناس أياما، وبعدها شد رحاله متخفيا بعباءة كهل عند الفجر فاستأجر سيارة من كراج العمارة القريب من مقهى (حجي محمد) للسفر إلى أهله. أشيع عنه فيما بعد إلقاء القبض عليه عند قرية علي الغربي، وأودع سجينا في نقرة السلمان. دفع الناس البسطاء أن تتساءل بعده؛ ترى ما الذي يعني أن يكون الإنسان (شيوعي)؟

سياسيون من ذات الشارع

لم يكن طالب العلم عبود مال الله ساكن الشارع وأول الشيوخ الدينيين أقل حضورا من ذلك الشيوعي الدخيل، لم يكن ليدخر وسعا في أن يواجه السلطة القائمة هو الآخر غير مرة، فيعلن في خطاباته عن مناهضتها، رافعا لافتات تنافحها وتطالب بتغيير الأوضاع السائدة، كان يحرك (الشيخ) الشاب عبود المعدان بمظاهرات سياسية كانوا لا يعون خواتيمها، منتهزا ذلك في أيام عاشوراء، لتصبح المظاهرة عندهم موضوعا دينيا وثوريا ساخنا في أوانها، مؤججا العواطف بين الناس، فطاب له أن يكرر مثل ذلك موسميا معهم، وعند كل مناسبة، حتى دخل السياسة أخيرا فتيةُ معه، كان أشدهم حماسة الشاب زعيم هنون، وأكثرهم صلابة عطية ناصر، فتشربوا بعضا من مداخلها، متزودين من المكتبة الدينية للسيد محسن الحكيم المشيدة قرب الشارع. كانت المكتبة تحوي، فضلا عن المطبوعات الدينية، كتبا علمانية مترجمة كثيرة، كان من بينها رأس المال والأيديولوجية الألمانية والوجود والعدم وأصل الأنواع ورواية الأم لمكسيم غوركي وغيرها.

ربما يحلو للآتي من جهة المكتبة أن يقلب رأسه على عقبه ويدخل الشارع من الجهة الخلفية له وسيلاقي بوابته الثانية وقد أحاطتها معالف مُشكل البجاي وأخوه ناصر البجاي وعمهما مشالي العلوان قرب سور الطين العائد إلى جبارة العبسي ورسن العبسي حيث ينتهي الشارع عندهما، متمما دورته الحياتية مانحا المكان رائحة البيت الواحد. كان مشالي العلوان يتشكى دائما بمقولته: إننا نهدر حياتنا على سطح الاسماء بسرائر ليست من صنعنا، كان يشعر دائما بالهضم من استلاب المكان وافتضاض السور. من منا لم يسمع بساعة أعاد الاعتبار للناس المعدان اللائذين من السلطة، مواجها سيارات الحكومة الجامحة بصدره نافرا من جندرمتها المتبجحين، ليجبرهم على الفرار، السيارات التي عادة ما كانت تباغت العصاة عند معالف الجواميس غير مرة، بحثا عن هاربين او مثيري ضغائن ضد السلطة. كان موقف مشالي العلوان يكشف عن بداية مؤثرة في وعي السلطة واستبدادها وقمعها للهامشيين، كان يعي مشالي العلوان ان الذوات الاشد تفردا هي تلك الذوات التي توضع على الهامش الاجتماعي، الذي ولد في ذهن السلطة . بعد ذلك . مجتمعا انضباطيا قائما على السيطرة وروح التحكم والضبط. إن من يتأمل تلك العلاقة يدرك ان في تبادل السلطة المرير ثمة قوة جديدة تفحلت ومدت ظلها لتمسح عن الناس ذاكرتهم، وتلك الايام الأولى التي تشكلت وسمحت لهم بترميم حياتهم، بنحو يصعب استعادته من جديد.

تحـــذيـــرات مـن تلف المخـطـوطـــات الفلـســطـيـنـيـة بـــالـقـــدس

حذر رئيس دائرة المخطوطات في المسجد الأقصى والخبير بالتراث الفلسطيني الشيخ ناجح بكيرات من ضياع المخطوطات القديمة التي يشرف عليها بسبب منع ترميمها وقلة العناية بها.وحمل الشيخ بكيرات الاحتلال الإسرائيلي والسلطة الوطنية الفلسطينية مسؤولية ذلك الإهمال.

وقال بكيرات أن "المخطوطات تواجه خطرا حقيقيا، فقد تعرضت للسرقة هي والمكتبات والسجلات منذ قدوم الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٤٨ من المدن الفلسطينية، وتم نقلها بعد ذلك إلى الجامعات الإسرائيلية كجامعة بار إيلان في تل أبيب".

وأكد بكيرات أن إسرائيل "ما زالت تمنع ترميم المخطوطات الموجودة لدينا، حيث منعت إدخال الأجهزة والمواد اللازمة للترميم التي أحضرت بالاتفاق مع منظمة اليونسكو العالمية وبموافقة إسرائيلية أيضا، وهي موجودة إلى الآن في ميناء أشدود الإسرائيلي".

ولفت بكيرات إلى أن "السلطة الفلسطينية تتحمل المسؤولية جنبا إلى جنب مع سلطة الاحتلال"، وقال إنه رغم اختيار القدس كعاصمة للثقافة عام ٢٠٠٩ فإنه لا يوجد اهتمام بهذا الجزء الرئيسي من التراث من الثقافة وهو المخطوطات.وأشار بكيرات إلى عدم وجود مؤسسة راعية تقوم بترميم هذه المخطوطات والعناية بها، وكذلك الافتقار للمواد الخام الأساسية اللازمة في عملية الترميم والتي تأتي من الخارج. وكشف الشيخ بكيرات أنه توجد في فلسطين أحد عشر ألف مخطوطة، منها أربعة آلاف موجودة داخل المسجد الأقصى، نصفها بحالة جيدة والنصف الآخر معرض للضياع والتلف إذا لم يتم الاهتمام به، مشيرا إلى وجود مكتبات قديمة في القدس ولدى عائلات مقدسية تحتفظ بعدد كبير من المخطوطات.

وأشار بكيرات إلى أنهم يتبعون طرقا عدة للحفاظ على هذه المخطوطات، حيث يتم تنظيفها بشكل دائم ووضعها في علب كرتونية غير قابلة للتأكسد، وتصويرها ووضعها على أقراص مضغوطة لإفادة أكبر عدد من الناس منها.وأضاف بكيرات أنه جرى إنشاء موقع إلكتروني يعرض للمخطوطات المتنوعة التخصصات كاللغة العربية وعلم الفلك والطب والرياضيات وعلم التفسير والحديث كمخطوطة إحياء علوم الدين للإمام الغزالي التي يزيد عمرها عن ٧٩١ عاما.

من جهته أكد محمد الصفدي من مركز إحياء التراث في القدس أنه تجري محاولات حثيثة لنقل المخطوطات إلى أماكن صحية وسليمة للحفاظ عليها.

وقال الصفدي "نحن نواجه أزمة حقيقية لأننا عاجزون عن حمايتها والعناية بها، ومهما بحثنا عن بدائل كتصويرها والاحتفاظ بصورها فلن يكون الأمر كافيا إلا بترميمها والعناية بها بشكل مباشر".

من البرج العاجي

البيانو: من لمسة الرقة المبكرة إلى الخشونة التعبيرية

فـــوزي كـــريم

إصدارات الموسيقى كإصدارات الكتب في أكثر من معنى. لعل واحدة من أبرز هذه المعاني إحالتها إلى سواها في الحقل ذاته، رغبةً في الإحاطة. قراءة الكتاب الجديد يحفزني لاستكمال تطلعه المعرفي إلى قراءة سواه، عبر الإشارة في مصادره ومراجعه. سماع العمل الموسيقي يقترح استكمالاً أيسر وأكثر متعة. وها أنا أجرب مع آلة البيانو، سيدة الآلات الموسيقية دون منازع، انطلاقاً من أعمال لأحد أهم رواد الموسيقى الإنكليزية، هو William Byrd 1540-1623، صدرت عن دار Naxos في أربع اسطوانات .CDعلى أن زمن "بيرد" لم يكن يعرف آلة البيانو، بل آلة "الهاربسيكورد" الشبيهة. وتربة تشبه السنطور، من حيث الصوت والرنين، ولكنها تعتمد الطرق كالبيانو. بدأت منذ القرن الخامس عشر في إيطاليا، وشاعت في عموم الغرب في المرحلتين: المبكرة والباروك. ولكنها هُجرت بعد اكتشاف وهيمنة آلة البيانو منذ مطلع القرن الثامن عشر، ثم استعيدت في العصر الحديث. مقطوعات "بيرد" إذن على آلة "الهاربسيكورد"، وهي تُعزف اليوم على الآلة ذاتها بمهارة وشغف كما كانت تُعزف قبل ستة قرون. أعمال "بيرد" في حقيقتها عملٌ واحد موزع على ٤٢ مقطوعة، تعتمد أشكالاً للتأليف متنوعة، وذات أسماء أحسب القارئ في غنى عنها هنا: واحدة تعتمد الصوت الخفيض (الباص) الذي تتناوب على سطحه الألحان بأسلوب هارموني. الأخرى "تنويعات" على ألحان أغنيات معروفة آنذاك. الثالثة تعتمد إيقاع رقصات بعينها. والرابعة تكوين تجريدي، من لحن مستقل، يصاحب اللحن الأساس متوازيا وإياه، أو متقاطعاً معه. وتر "الهابسيكورد" ذو رنين يمس بشرة الكائن بلحظة رخاء. أصابع اليد التي تواصل اللحن مستقلة عن أصابع اليد التي تُشكل الهارموني بمسايرتها وتقاطعاتها. كل شيء يتوافق مع النفس، دون تعارضات داخلية. ما من احتدام إلا فيما يتصل بالحدث الخارجي، التي تحاول إحدى الفصول تصويره (كمشهد المعركة). وكذا الأمر على مستوى التقنيات التي لا تخدم غرضاً غير التسلية والتشويق ولمسة الجمال. خاصة وأن "بيرد" وضع العمل بجملته بطلب من "السيدة نيفيلز" وسمي باسمها، وقدم مخطوطته البارعة الشكل في الزخرف والرسم لها، وهي معروضة اليوم في متحف "فيكتوريا وألبيرت" لمن يرغب.

الانتقال من الإصغاء "للهاربسيكورد" إلى الإصغاء للبيانو يشبه الانتقال من كثيب رملي سهل المنحدر إلى جبل كثير الشعاب حاد المنحدرات. الموسيقي الألماني باخ لم يرتح للبيانو الذي اكتشف في سنوات عمره الأخيرة. على أن "موتسارت" جعله مسرحاً للقلب العابث، وشبكةً لاصطياد المباهج والأسى. وحين حل بيتهوفن حلّت معه لحظة الأزمات الرومانتيكية الجديدة. ما من لعب هنا، ولا رغبة بالسلوان. وبقي عالم البيانو الرومانتيكي حكراً نمساوياً والمانياً، كان "برامز" آخر رهابنته. لأن "فاغنر" وتابعيه الذين جاءوا بعده: بروخنر، مالر، وشتراوس، لم يقربوه، وفضلوا عليه العالم السيمفوني. في تلك الفترة كان الموسيقي الفرنسي الشاب "غابرييل فوريه" (١٨٤٥-١٩٤٢) يضع لمسات مدرسة فرنسية جديدة لهذه الآلة، مع دعم متواصل من قبل ديبوسيه ورافيل، إلى أن ظهرت المدرسة الروسية: "رحمانينوف"، "سكريابن"، "بروكوفييف" و"شوستاكوفيتش".

مع القرن العشرين فاجأ الموسيقى والفنَ والأدبَ تيارُ التعبيرية العبوس والمصوت. وكان مصدره ، وبقي كذلك ، ألمانياً نمساوياً. الموسيقيُ لم يعد محكوماً بمقاييس الجمال المألوفة. لم يسع إلى الهارموني وتوفير حالات التوافق. ولم يعد يعنيه المعترك في العالم الخارجي ، بل فضّل عليه الرحيل في العالم الداخلي للانشغال بمعتركه ، وبحمّى عواطفه. ظهر الشاعر "تراكل" و"غوتفريد بنّ"، والرسام "نولدة" و"كوكوشكا"، والموسيقي "شوينبيرغ" و"مدرسة فيينا الثانية".

ولكن "فوريه" في عالم البيانو لا يملك كثرةَ شعاب وحدةَ منحدرات. فخصيصة موسيقاه جميعاً غاية في الدعة والرقة وحسن الطوية والحميمية، وهذه صفة تتوزع موسيقاه جميعاً، ولهذا السبب لم يخرج من حقل موسيقى الغرفة إلى حقل العمل الأوركسترالي كثيراً. إن التجوال عبر أسطوانات CDالأربع التي بين يدي (أعمال البيانو الكاملة، صدرت عن دار Eratoالفرنسية) تجوالٌ استرخاءٍ وراحةٌ مشبعةٌ بالغناء. في كل حركة أغنيةٌ خفيةٌ. وطبع فوريه الغنائي أبعده عن عالم "السوناتا" وشكلها التجريدي الصارم. قاده، على العكس، إلى عالم "الليليات"، "أغاني الجندول"، "برومبتو، أو سانحة تلقائية"، "رومانس"، "برليود، أو استهلال"...الخ، تماماً حتى ليبدو على مقربة من عالم "شوبان".

مع القرن العشرين فاجأ الموسيقى والفنَ والأدبَ تيارُ التعبيرية العبوس والمصوت. وكانٍ مصدره، وبقي كذلك، ألمانياً نمساوياً. الموسيقيُ لم يعد محكوماً بمقاييس الجمال المألوفة. لم يسع إلى الهارموني وتوفير حالات التوافق. ولم يعد يعنيه المعترك في العالم الخارجي، بل فضّل عليه الرحيل في العالم الداخلي للانشغال بمعتركه، وبحمّى عواطفه. ظهر الشاعر "تراكل" و"غوتفريد بنّ"، والرسام "نولدة" و"كوكوشكا"، والموسيقي "شوينبيرغ" و"مدرسة فيينا الثانية". لهذا التيار التعبيري الأخير قدمت عازفة البيانو "أليسون بروستر" أربعة موسيقيين وأربع سوناتات على آلة البيانو (دار (Naxos، عينات رائعة لتيار التعبيرية الموسيقية: "شوينبيرغ" (١٨٧٤-١٩٣١)، "بيرغ" (١٨٨٥-١٩٣٥)، "هندميث" (١٨٩٥-١٩٦٣)، و"كارل هارتمان" (١٩٠٥-١٩٦٣). الأعمال هنا تراوحت بين اعتماد السلم الموسيقي بحرية، أو الطلاق الكلي معه. اعتماد حركات السوناتا المعروفة أو الاكتفاء بالحركة الطويلة الواحدة. عناصر الشكل صارت طيعة من أجل مزيد من النبش والتنقيب في الأعماق المعتمة، أو النصف مضاءة لعالم الفنان الداخلي. المرحلة التي خرجت منها احتدامات هؤلاء كانت معتمة هي الأخرى: صعود وباء النازية العنصرية وخراب الحرب العالمية. ولقد تعرض الأربعة للاضطهاد والمنع، والهرب إلى المنفى.

من المكتبة الأجنبية

التاريخ مستمر

تأليف :هوبير فيدرين
الناشر: فايار، باريس ٢٠٠٧

كتاب يحلل فيه وزير خارجية فرنسا الأسبق الأوضاع العالمية بعد انهيار جدار برلين في خريف عام ١٩٨٩، وهو يرى الغربيين قد استعجلوا كثيرا في الاعتقاد وأنهم قد انتصروا في «معركة التاريخ وأن قيمهم سوف تفرض نفسها على المستوى الكوني. وكان ذلك قد جرى على خلفية الأوهام التي عرفتها سنوات التسعينيات. إذ تشبّع الأميركيون بروح القوة واعتقدوا أنهم قد أصبحوا قوة لا تُقهر. بينما اعترى الأوروبيين أيضا نفس الإحساس بالهيمنة وإنما كان ذلك بدافع السذاجة.

البترول والأرباح والسلام

تأليف :جيل شانكلمان
الناشر:المعهد الأميركي للسلام
- واشنطن

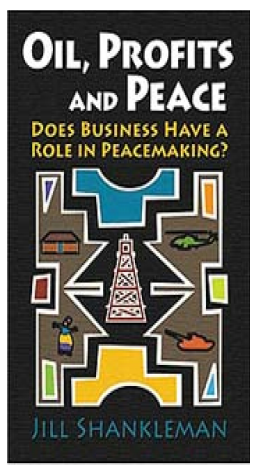

«البترول والأرباح والسلام» هو حصيلة تجربة طويلة للمؤلف جيل شنكلمان في ميدان اهتمامه. ويشير بداية إلى أن الشركات البترولية الكبرى المعروفة بـ «الأخوات السبع» التي تسيطر عمليا على السوق النفطي العالمي، اعتبرت حتى فترة وجيزة من الزمن أن ما تعرفه البلدان التي توجد الثروات النفطية والغازية فيها، من تفاعلات اجتماعية - اقتصادية وما يترتب على ذلك بالنسبة لسكانها، إنما هي أمور لا علاقة للشركات المعنية بها، بل إنها «خارجة عن إرادتها تماما وبالتالي تقيم حساباتها على أساس الأسعار والأرباح، وكأنها مجرد أرقام لا علاقة لها بالواقع.

حرب الجزائر

تأليف :غي بيرفيلي
الناشر:المطبوعات الجامعية الفرنسية
باريس٢٠٠٧

قام بتأليف هذا الكتاب البروفيسور غي بيرفيلي أستاذ العلوم السياسية في جامعة تولوز بجنوب فرنسا. وهو مختص بالشؤون الاستعمارية للإمبراطورية الفرنسية. كما أنه مختص بدراسة حركات التحرر الوطني التي أدت إلى القضاء على الاستعمار ونيل هذه الشعوب لحرياتها وفي طليعتها الشعب الجزائري الذي خاض حربا طويلة ومريرة ضد القوى الاستعمارية الفرنسية من أجل نيل استقلاله. وكان قد نشر سابقا كتابا بعنوان: أطلس عام لحرب الجزائر، من الفتح الاستعماري إلى الاستقلال (٢٠٠٣). ثم كتابا آخر بعنوان: من أجل تاريخ حقيقي لحرب الجزائر (٢٠٠٢). وفي هذا الكتاب الجديد يعود المؤلف إلى الموضوع من جديد ويقول بما معناه: لقد لزم علينا أكثر من ثلاثين سنة لكي تعترف فرنسا بحقيقة ما جرى في الجزائر من عام ١٩٥٤ إلى عام ١٩٦٢، ففي السابق كانت تتحدث عن حصول أعمال شغب وخروج على النظام. ولم تكن تعترف بثورة شعب بأكمله من أجل نيل استقلاله. لم تكن تعترف بحصول حرب استعمارية هناك، بل وحرب ضارية، بشعة، استخدمت فيها كافة أنواع الأسلحة مشروعة وغير مشروعة وبخاصة من قبل المستعمر الفرنسي.

الجنوح الاستبدادي

تأليف :مارلين لارويل ، سيباستيان بيروز
الناشر:اوترومون . باريس

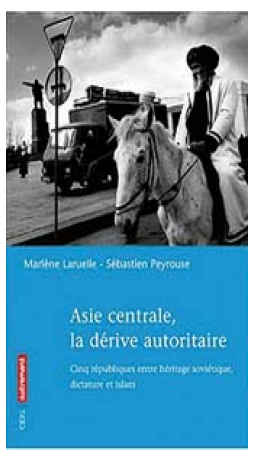

تعمل مارلين لارويل، باحثة في مركز دراسات العالم الروسي والقوقازي وأوروبا الوسطى في المدرسة العليا للدراسات الاجتماعية في باريس. لها عدة مؤلفات من بينها: «البحث عن هوية إمبريالية: النزعة الأوروبية - الآسيوية الجديدة في روسيا المعاصرة والأحمر والأسود: اليمين المتطرف والنزعة القومية في روسيا» في الكتاب الجديد عن «آسيا الوسطى، الجنوح الاستبدادي، يعالج الثنائي لارويل، بيروز الرهانات الجديدة التي تواجهها الجمهوريات الخمس في آسيا الوسطى، أي كازاخستان وقرغيزستان واوزبكستان وطاجيكستان وتركمانستان. ويتم التأكيد منذ بداية التحليل أن قادة هذه الجمهوريات الخمس الذين كانوا بأغلبيتهم القادة السابقين للحزب الشيوعي في مناطقهم عندما كانت ضمن إطار الاتحاد السوفييتي السابق، رددوا نفس النغمة عند سقوط الإمبراطورية الشيوعية حيث أظهروا حماسهم لنشر الديمقراطية والالتزام الكامل والشامل بقواعد اقتصاد السوق، أي التأكيد على الابتعاد سياسيا عن النهج السابق والاقتراب اقتصاديا من الليبرالية في إطار العولمة.